فَصْلٌ

تكريم الإسلام للمسيح عبد الله ورسوله

قَالُوا: وَلِمَا تَقَدَّمَ بِهِ القَوْلُ لِأَنَّهُ غَيْرُ لَائِقٍ عِنْدَ ذَوِي الأَلْبَابِ أَنْ نُهْمِلَ رُوحَ القُدُسِ وَكَلِمَةَ اللهِ الَّذِي شَهِدَ لَهُمَا فِي هَذَا الكِتَابِ بِالعَظَائِمِ، فَقَالَ عَنْ كَلِمَةِ اللهِ: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النِّسَاء: ١٥٩].

وَالجَوَابُ:

إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ مُحَمَّدًا ﷺ بِإِهْمَالِ مَا يَجِبُ مِنْ حَقِّ المَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ أَمَرَهُ بِالإِيمَانِ بِالمَسِيحِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، كَمَا أَمَرَهُ بِالإِيمَانِ بِمُوسَى وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَكَمَا أَمَرَ المَسِيحَ بِالإِيمَانِ بِمُوسَى وَبِمَا جَاءَ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَمَرَ بِإِهْمَالِ مَا ابْتُدِعَ مِنَ الدِّينِ الَّذِي لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ عَلَى لِسَانِ المَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا نَسَخَهُ اللهُ مِنْ شَرْعِهِ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيُهْمِلُ المُبَدَّلَ وَالمَنْسُوخَ كَمَا أَمَرَ اللهُ المَسِيحَ أَنْ يُهْمِلَ مَا ابْتَدَعَتْهُ اليَهُودُ مِنَ الدِّينِ الَّذِي لَمْ يَشْرَعْهُ، وَمَا نَسَخَهُ مِنْ شَرْعِ مُوسَى.

فَكَمَا أَمَرَ المَسِيحَ أَنْ يُهْمِلَ المُبَدَّلَ وَالمَنْسُوخَ مِنَ التَّوْرَاةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ إِهْمَالٌ لِمَا يَجِبُ مِنْ حَقِّ التَّوْرَاةِ وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَذَلِكَ إِذَا أُهْمِلَ المُبَدَّلُ وَالمَنْسُوخُ مِنْ دِينِ أَهْلِ الإِنْجِيلِ، لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ إِهْمَالٌ لِمَا يَجِبُ مِنْ حَقِّ الإِنْجِيلِ وَالمَسِيحِ، بَلْ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ يَتَضَمَّنُ الإِيمَانَ بِجَمِيعِ الكُتُبِ وَالرُّسُلِ، وَأَنْ لَا نُفَرِّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٣٦].

وَالنَّصَارَى كَاليَهُودِ، آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ، فَأَيُّمَا هُوَ اللَّائِقُ عِنْدَ أُولِي الأَلْبَابِ، أَنْ نُؤْمِنَ بِجَمِيعِ كُتُبِ اللهِ وَرُسُلِهِ، أَوْ نُؤْمِنَ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرَ بِبَعْضٍ وَأَيُّمَا هُوَ اللَّائِقُ عِنْدَ أُولِي الأَلْبَابِ أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَنَعْبُدُهُ بِمَا شَرَعَهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، أَوْ نَبْتَدِعَ مِنَ الشِّرْكِ وَالعِبَادَاتِ المُبْتَدَعَةِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ اللهُ كِتَابًا وَلَا بَعَثَ بِهِ رَسُولًا وَنُضَاهِي المُشْرِكِينَ عُبَّادَ الأَوْثَانِ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فَالمُسْلِمُونَ لَمْ يُهْمِلُوا رُوحَ القُدُسِ، وَكَلِمَةَ اللهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنْ كَلِمَةِ اللهِ: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٥٩].

بَلْ هُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا دِينَهُ وَدِينَ الرُّسُلِ قَبْلَهُ فَإِنَّ دِينَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَمِيعِهِمْ وَاحِدٌ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّا مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ**»(١).

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٧ و٤٨٢) والبخاري [٣٤٤٣] ومسلم [٢٣٦٥] وابن حبان [٦١٩٤] والبغوي [٣٦١٩] وغيرهم عن أبي هريرة.

فَدِينُ الْمُرْسَلِينَ كُلِّهِمْ دِينٌ وَاحِدٌ، وَيَتَنَوَّعُ شَرْعُهُمْ وَمَنَاهِجُهُمْ كَتَنَوُّعِ شَرِيعَةِ الرَّسُولِ الوَاحِدِ، فَإِنَّ دِينَ المَسِيحِ هُوَ دِينُ مُوسَى، وَهُوَ دِينُ الخَلِيلِ قَبْلَهُمَا، وَدِينُ مُحَمَّدٍ بَعْدَهُمَا، مَعَ أَنَّ المَسِيحَ كَانَ عَلَى شَرِيعَةِ التَّوْرَاةِ ثُمَّ نَسَخَ اللهُ عَلَى لِسَانِهِ مَا نَسَخَ مِنْهَا وَهُوَ قَبْلَ النَّسْخِ وَبَعْدَهُ دِينُهُ دِينُ مُوسَى وَلَمْ يُهْمِلْ دِينَ مُوسَى.

كَذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ هُمْ عَلَى دِينِ المَسِيحِ وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَسَائِرِ الرُّسُلِ وَهُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا المَسِيحَ وَلِهَذَا جَعَلَهُمُ اللهُ فَوْقَ النَّصَارَى إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَالنَّصَارَى الَّذِينَ بَدَّلُوا دِينَ المَسِيحِ وَكَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ بَرِيئُونَ مِنْ دِينِ المَسِيحِ وَالمَسِيحُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ، كَبَرَاءَةِ مُوسَى مِمَّنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ دِينَهُ وَكَذَّبَ المَسِيحَ.

وَالْمُسْلِمُونَ أَشَدُّ تَعْظِيمًا لِلْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاتِّبَاعًا لَهُ بِالحَقِّ مِمَّنْ بَدَّلَ دِينَهُ وَخَالَفَهُ مِنَ النَّصَارَى، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ يُصَدِّقُونَهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يُحَرِّفُونَ مَا قَالَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُفَسِّرُونَ كَلَامَهُ بِغَيْرِ مُرَادِهِ، وَكَلَامَ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ كَمَا فَعَلَتِ النَّصَارَى، فَإِنَّهُمْ نَقَلُوا عَنِ المَسِيحِ أَنَّهُ قَالَ عَمِّدُوا النَّاسَ بِاسْمِ الأَبِ وَالِابْنِ وَرُوحِ القُدُسِ، وَهَذَا إِذَا قَالَهُ المَسِيحُ فَإِنَّهُ يُفَسَّرُ بِلُغَتِهِ وَعَادَتِهِ فِي خِطَابِهِ وَعَادَةِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، (وَلَيْسَ فِي كَلَامِ المَسِيحِ وَلَا فِي كَلَامِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَلَا كَلَامِ غَيْرِهِمْ أَنَّ كَلِمَةَ اللهِ) القَائِمَةَ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تُسَمَّى ابْنًا، وَلَا رُوحَ قُدُسٍ، وَلَا تُسَمَّى صِفَتُهُ القَدِيمَةُ ابْنًا، وَلَا رُوحَ قُدُسٍ، وَلَا يُوجَدُ قَطُّ فِي كَلَامِ الأَنْبِيَاءِ اسْمُ الِابْنِ وَاقِعًا إِلَّا عَلَى مَخْلُوقٍ.

وَالْمُرَادُ فِي تِلْكَ اللُّغَةِ أَنَّهُ مُصْطَفًى مَحْبُوبٌ للهِ، كَمَا يَنْقُلُونَهُ أَنَّهُ قَالَ لِإِسْرَائِيلَ: (أَنْتَ ابْنِي بِكْرِي)، وَلِدَاوُدَ (أَنْتَ ابْنِي وَحَبِيبِي)، وَأَنَّ المَسِيحَ قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ (أَبِي وَأَبِيكُمْ)، فَجَعَلَهُ أَبًا لِلْجَمِيعِ، وَهُمْ كُلُّهُمْ مَخْلُوقُونَ فَيَكُونُ اسْمُ الِابْنِ وَاقِعًا عَلَى المَسِيحِ الَّذِي هُوَ نَاسُوتٌ مَخْلُوقٌ، فَعَمَدَ هَؤُلَاءِ الضَّلَالَ فَجَعَلُوا اسْمَ الِابْنِ وَاقِعًا عَلَى اللَّاهُوتِ، قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ مَوْلُودٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَزَعَمُوا أَنَّ الِابْنَ يُرَادُ بِهِ الِابْنُ بِالوَضْعِ، وَهُوَ المَخْلُوقُ، وَهُوَ الِابْنُ بِالطَّبْعِ، وَهُوَ القَدِيمُ الأَزَلِيُّ المَوْلُودُ غَيْرُ المَخْلُوقِ، وَهَذَا التَّفْرِيقُ هُمْ أَحْدَثُوهُ وَابْتَدَعُوهُ وَلَا يُوجَدُ قَطُّ فِي كَلَامِ المَسِيحِ وَلَا غَيْرِهِ أَنَّهُ سَمَّى القَدِيمَ الأَزَلِيَّ ابْنًا، وَلَا جَعَلَ لَهُ ابْنًا قَدِيمًا مَوْلُودًا غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَلَا سَمَّى شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ اللهِ قَطُّ ابْنًا.

وَكَذَلِكَ لَفْظُ رُوحِ القُدُسِ مَوْجُودٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كَلَامِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا يُرَادُ بِهَذَا قَطُّ حَيَاةُ اللهِ وَلَا صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِهِ.

وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ مَا أَيَّدَ اللهُ بِهِ الأَنْبِيَاءَ وَالأَوْلِيَاءَ، وَيَجْعَلُهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ هُدَاهُ وَنُورِهِ وَوَحْيِهِ وَتَأْيِيدِهِ، وَمِمَّا يُنَزِّلُ بِذَلِكَ مِنَ المَلَائِكَةِ، وَهَذَا الَّذِي تُسَمِّيهِ الأَنْبِيَاءُ رُوحَ القُدُسِ لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ المَسِيحُ، بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ، بَلْ قَدْ أَنْزَلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ كَمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي كُتُبِهِمْ: إِنَّ رُوحَ القُدُسِ كَانَتْ فِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ، وَكَانَتْ أَيْضًا عِنْدَهُمْ فِي الحَوَارِيِّينَ.

وَهَكَذَا خَاتَمُ الرُّسُلِ، كَانَ يَقُولُ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ: إِنَّ رُوحَ القُدُسِ مَعَكَ مَا دُمْتَ تُدَافِعُ عَنْ نَبِيِّهِ، وَيَقُولُ اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

فَرُوحُ القُدُسِ لَا اخْتِصَاصَ لِلْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا، بَلْ مَا يُفَسَّرُ بِهِ اسْمُ الِابْنِ وَاسْمُ رُوحِ القُدُسِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا وُصِفَ بِهِ المَسِيحُ فَهُوَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ، وَإِذَا فَسَّرُوا الحُلُولَ بِظُهُورِ نُورِ اللهِ وَعِلْمِهِ وَهُدَاهُ فِي الأَنْبِيَاءِ فَهَذَا حَقٌّ وَهُوَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ المَسِيحِ وَغَيْرِهِ.

فَأَمَّا نَفْسُ ذَاتِ اللهِ فَلَمْ تَحِلَّ فِي أَحَدٍ مِنَ البَشَرِ.

وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ شَهَادَتِهِمْ لِلْمَسِيحِ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ مُؤَيَّدٌ مَنْصُورٌ عَصَمَهُ اللهُ مِنْ أَعْدَائِهِ وَطَهَّرَهُ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُسَلِّطْهُمْ عَلَيْهِ.

وَالنَّصَارَى يَدَّعُونَ أَنَّ اسْمَ المَسِيحِ اسْمُ اللَّاهُوتِ وَالنَّاسُوتِ وَأَنَّهُ إِلَهٌ تَامٌّ وَإِنْسَانٌ تَامٌّ، وَهَذَا يَمْتَنِعُ شَرْعًا وَعَقْلًا ثُمَّ يَصِفُونَهُ بِالصِّفَاتِ الْمُتَنَاقِضَةِ، يَصِفُونَهُ بِأَنَّ طَائِفَةً مِنْ أَشْرَارِ اليَهُودِ وَضَعُوا الشَّوْكَ عَلَى رَأْسِهِ وَبَصَقُوا فِي وَجْهِهِ، وَأَهَانُوهُ وَصَلَبُوهُ وَفَعَلُوا بِهِ مَا لَا يُفْعَلُ بِأَخَسِّ النَّاسِ، وَيَقُولُونَ مَعَ هَذَا: إِنَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

❁❁❁

obeikandl.com

فَصْلٌ

نسخ شرع التوراة وأن ما جاء به المسيح حق

قَالُوا: ثُمَّ شَهِدَ لِقَرَابِينِنَا وَذَبَائِحِنَا أَنَّهَا مُقَدَّسَةٌ مَقْبُولَةٌ لَدَى اللهِ مِنْ كُتُبِ اليَهُودِ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ يَوْمَنَا هَذَا المُنَزَّلَةِ مِنَ اللهِ عَلَى أَفْوَاهِ الأَنْبِيَاءِ المُرْسَلِينَ.

قَالَ أَشْعِيَا: (قَالَ اللهُ: إِنِّي أَعْرِفُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلُوبَهُمُ القَاسِيَةَ الخَبِيثَةَ فَإِذَا أَنَا ظَهَرْتُ إِلَى الأُمَمِ فَنَظَرُوا إِلَى كَرَامَتِي أُقِيمُ مِنْهَا أَنْبِيَاءَ وَأَبْعَثُ مِنْهُمْ مُخَلِّصِينَ يُخَلِّصُونَ الأُمَمَ مِنَ البُلْدَانِ القَاصِيَةِ الَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا بِسَمَاعِي، وَلَمْ يَعْرِفُوا مِنْ قَبْلُ كَرَامَتِي، وَيَكُونُ اسْمِي فِيهِمْ، وَيَجْلِبُونَ إِخْوَتَهُمْ مِنَ الأُمَمِ كُلِّهَا، وَيُجِيبُونَ قَرَابِينَ اللهِ عَلَى الدَّوَابِّ وَالمَرَاكِبِ إِلَى جَبَلٍ قُدْسِيٍّ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَيُقَرِّبُونَ لِي القَرَابِينَ بِالسَّمِيدِ، كَمَا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْلُ وَكَذَلِكَ بَاقِي الأُمَمِ وَتُقَرَّبُ القَرَابِينُ بَيْنَ يَدَيَّ، فَهُمْ وَزَرْعُهُمْ إِلَى الأَبَدِ، وَيَحُجُّونَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَفِي كُلِّ شَهْرٍ، وَمِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، بَيْتِ اللهِ وَيُقَرِّبُونَ للهِ رَبِّهِمْ فِيهِ قَرَابِينَ زَكِيَّةً نَقِيَّةً، يَنْظُرُونَ إِلَى الأُمَّةِ الخَبِيثَةِ المَارِدَةِ: بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا يَبْلَى حُزْنُهَا وَلَا يَنْقَطِعُ، بَلَاؤُهَا إِلَى الأَبَدِ).

وَقَالَ دَانْيَالُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَسَيَأْتِي عَلَى شَعْبِكَ وَقَرْيَةِ قُدْسِكَ سَبْعُونَ سَابُوعًا، وَتَنْقَضِي الذُّنُوبُ، وَتَفْنَى الخَطَايَا وَغُفْرَانُ الإِثْمِ، وَيُؤْتَى بِالحَقِّ الَّذِي لَمْ يَنْزِلْ مِنْ قَبْلُ، وَتَتِمُّ نُبُوَّاتُ الأَنْبِيَاءِ وَكُتُبُ الرُّسُلِ، وَتَبِيدُ قَرْيَةُ القُدْسِ وَتُخَرَّبُ مَعَ مَجِيءِ المَسِيحِ، وَيَفْنَى المِيثَاقُ العَتِيقُ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْ بَعْدِ أُسْبُوعٍ وَنِصْفٍ تَبْطُلُ ذَبَائِحُ اليَهُودِ وَقَرَابِينُهُمْ، وَتَصِيرُ عَلَى كَفِّ النَّجَاسَةِ وَالفَسَادِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ).

وَقَالَ مِيخَا[١] النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (قَالَ اللهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا أَتَى المَسِيحُ يَدْعُو الأُمَمَ المُبَدَّدَةَ، وَيَضَعُهُمْ شَعْبًا وَاحِدًا، وَيُبْطِلُ قِتَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَسِلَاحَهُمْ وَقَرَابِينَهُمْ إِلَى الأَبَدِ)[٢].

وَقَالَ عَامُوصُ[٣] النَّبِيُّ: (لَا تَذْبَحُوا العُجُولَ بَعْدُ فَإِنَّ الرَّبَّ سَيَأْتِي صِهْيُونَ وَيُحْدِثُ وَصِيَّةً جَدِيدَةً طَاهِرَةً مِنَ الخُبْزِ النَّقِيِّ وَالخَمْرِ الزَّكِيِّ وَيَصِيرُ بَنُو إِسْرَائِيلَ مَطْرُودِينَ).

وَالجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا- أَنَّ مَا يَحْتَجُّونَ بِهِ مِنَ النَّقْلِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ - يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى أَرْبَعِ مُقَدِّمَاتٍ: إِلَى أَنْ تُعْلَمَ نُبُوَّةُ المَنْقُولِ عَنْهُ، وَإِلَى أَنْ يُعْلَمَ لَفْظُهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ، وَإِلَى أَنْ يُعْلَمَ مَا ذَكَرُوهُ تَرْجَمَةً صَحِيحَةً عِنْدَهُ، فَإِنَّ أُولَئِكَ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِالعَرَبِيَّةِ، بَلْ وَلَا بِالرُّومِيَّةِ وَالسُّرْيَانِيَّةِ وَاليُونَانِيَّةِ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمُوا بِالعِبْرِيَّةِ، كَالمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) **ميخا النبي**: سادس الأنبياء الصغار ويسمى المورشتي من مسقط رأسه مورشة قرية بقرب جت تنبأ في ملك يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا (٧٥١-٦٩٣ق.م)، وكان معاصرًا لأشعياء الذي يشبهه في أسلوبه ونهج كتابته وله سفر في العهد القديم.

(٢) في سفر ميخا - الإصحاح الرابع (٢- لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضي بين شعوب كثيرين ينصف الأمم قوة بعيدة فيطبعون سيوفهم سككًا ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفًا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتينته ولا يكون من يرعب لأن فم رب الجنود تكلم لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلّه ونحن نسلك باسم الرب إلّهنا إلى الدهر والأبد، في ذلك اليوم يقول الرب: أجمع الظالعة وأضمم المطرودة والتي أضررت بها وأجعل الظالعة بقية والمعصاة أمة قوية ويملك الرب عليهم في جبل صهيون من الآن إلى الأبد) بمعناه.

(٣) في سفر عاموس - الإصحاح السادس (٤- المضطجعون على أسرة من العاج والمتمددون على فرشهم والآكلون خرفًا من الغنم وعجولًا من وسط الصيرة الهاذرون مع صوت الرباب المخترعون لأنفسهم آلات الغناء كداود الشاربون من كؤوس الخمر والذين يدهنون بأفضل الأدهان ولا يغتمون على انسحاق يوسف لذلك الآن يسبون في أول المسبيين ويزول صياح المتمددين) النص بمعناه.

وَالرَّابِعُ- أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَا ذَكَرُوهُ مِنْ كَلَامِ الأَنْبِيَاءِ دَلِيلٌ عَلَى مَا ادَّعَوْهُ مِنْ قَبُولِ قَرَابِينِهِمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَنَحْنُ فِي هَذَا المَقَامِ نَقْتَصِرُ عَلَى مُنَازَعَتِهِمْ فِي هَذِهِ المُقَدِّمَةِ، فَلَيْسَ فِيمَا ذَكَرُوهُ دَلِيلٌ عَلَى مَدْحِ قَرَابِينِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ بَعْدَ التَّبْدِيلِ وَالنَّسْخِ، وَلَكِنَّ غَايَتَهَا أَنْ يَدُلَّ عَلَى مَدْحِهَا قَبْلَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ، وَهَذَا مِمَّا لَا يُنَازِعُ فِيهِ المُسْلِمُونَ.

الوَجْهُ الثَّانِي- أَنَّ هَذِهِ النُّعُوتَ المَذْكُورَةَ عَنْ «أَشْعِيَا» وَغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ لَا تُوَافِقُ مَا عَلَيْهِ النَّصَارَى، فَإِنَّ النَّصَارَى لَا يُقَرِّبُونَ القَرَابِينَ بِالسَّمِيدِ، كَمَا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْلُ، وَلَا يَحُجُّونَ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَمِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ بَيْتِ اللهِ، وَيُقَرِّبُونَ للهِ رَبِّهِمْ فِيهِ قَرَابِينَ نَقِيَّةً زَكِيَّةً، وَإِنَّمَا يَحُجُّونَ إِلَى قُمَامَةَ الخَارِجَةِ عَنْ بَيْتِ اللهِ الَّذِي كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ تَقْصِدُهُ وَتُصَلِّي فِيهِ، فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، وَيَزُورُونَ بَيْتَ المَقْدِسِ نَفْسَهُ، وَأَمَّا قُمَامَةُ فَلَيْسَ لَهَا ذِكْرٌ فِي كُتُبِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بَلْ إِنَّمَا ظَهَرَتْ قُمَامَةُ فِي زَمَنِ قُسْطَنْطِينَ المَلِكِ، لَمَّا أَظْهَرَتْهَا أُمُّهُ هِيلَانَةُ الحَرَّانِيَّةُ لَمَّا جَاءَتْ بَيْتَ المَقْدِسِ، وَاخْتَارَتْ مِنَ اليَهُودِ ثَلَاثَةً، وَسَأَلَتْهُمْ أَنْ يَدُلُّوهَا عَلَى مَوْضِعِ الصَّلِيبِ فَامْتَنَعُوا، فَعَاقَبَتْهُمْ بِالحَبْسِ وَالجُوعِ، فَدَلُّوهَا عَلَى مَوْضِعِهِ فِي مَزْبَلَةٍ فَاسْتَخْرَجُوهُ، وَجَعَلَتْهُ فِي غِلَافٍ مِنْ ذَهَبَ وَحَمَلَتْهُ، وَبَنَتْ كَنِيسَةَ القُمَامَةِ فِي مَوْضِعِهِ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ البِطْرِيقِ[1] فِي تَارِيخِهِ، وَغَيْرُهُ، كَمَا سَيَأْتِي، وَذَلِكَ بَعْدَ المَسِيحِ بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ سَنَةٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ أَظْهَرُوا الصَّلِيبَ، وَجَعَلُوا «عِيدَ الصَّلِيبِ»، وَلَمْ يَشْرَعْ ذَلِكَ لَا المَسِيحُ وَلَا الحَوَارِيُّونَ، وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي كُتُبِهِمْ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ عُلَمَائِهِمْ، كَمَا قَدْ ذُكِرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَلَا هُمْ يَأْتُونَ بِقَرَابِينَ للهِ عَلَى الدَّوَابِّ وَالمَرَاكِبِ إِلَى جَبَلِ قُدْسِ بَيْتِ اللهِ المَقْدِسِ.

---

(١) هو سعيد بن البطريق المتطبب، طبيب مؤرخ نصراني - من أهل مصر وُلِدَ بالفسطاط سنة ثلاث وستين ومائتين من الهجرة النبوية، ولما بلغ الستين من عمره أقيم بطريركًا على الإسكندرية سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة من الهجرة.

الوَجْـهُ الثّالِـثُ- أَنَّ مَـا ذَكَرُوهُ عَـنْ «دَانْيَـالَ» لَا يَتَضَمَّنُ مَـدْحَ دِينِهِمْ بَعْدَ النَّسْـخِ وَالتَّبْدِيلِ، وَإِنَّمَا يَتَضَمَّنُ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ المَسِـيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالحَقِّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ مِنْ قَبْلُ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ قَبْلَهُ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ وَأَنَّ بَيْتَ المَقْدِسِ يُخَرَّبُ مَعَ مَجِيءِ المَسِـيحِ، وَيَفْنَـى المِيثَاقُ العَتِيقُ، يَعْنِي مَا نُسِـخَ مِنْ شَرْعِ التَّوْرَاةِ، وَأَنَّـهُ يُبْطِلُ ذَبَائِحَ اليَهُودِ وَقَرَابِينَهُمْ.

وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى نَسْخِ شَرْعِ التَّوْرَاةِ، وَبُطْلَانِ دَوْلَةِ اليَهُودِ وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ المَسِيحَ جَاءَ بِالحَقِّ، وَمَنِ اتَّبَعَ المَسِيحَ كَانَ عَلَى الحَقِّ، وَهَذَا مِمَّا لَا يُنَازِعُ فِيهِ المُسْلِمُونَ فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ مُتَمَسِّكًا بِمَا أَمَرَ بِهِ المَسِيحُ فَإِنَّهُ مِنْ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ وَلَكِنْ مَنْ جَاءَ بِشَرْعٍ لَمْ يَـأْتِ بِـهِ المَسِـيحُ أَوْ أَرَادَ اتِّبَاعَ شَرْعِهِ بَعْدَ النَّسْـخِ فَهُـوَ بِمَنْزِلَةِ اليَهُودِ الَّذِينَ نَسَـخَ اللهُ مَا نَسَخَهُ مِنْ شَرْعِهِمْ وَأَزَالَ دَوْلَتَهُمْ وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِالنَّصَارَى لَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزَالَ دَوْلَتَهُـمْ عَنْ وَسَـطِ الأَرْضِ وَخِيَارِهَا وَحَيْـثُ بُعِثَتِ الأَنْبِيَاءُ كَأَرْضِ الشَّـامِ وَمِصْرَ وَالجَزِيـرَةِ(١)، وَالعِرَاقِ(٢)، وَأَرْمِينِيَّةَ(٣)، وَأَذْرَبِيجَانَ(٤)، وَأَجْلَاهُمْ إِلَى طَرَفَيِ الأَرْضِ مِنْ

---

(١) **الجزيرة**: يطلق عليها جزيرة أقور وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة للشـام، تشـتمل على ديار مضر وديار بكر، وسميت بالجزيرة لأنها بين دجلة والفرات ولأهلها تواريخ معروفة.

(٢) **العراق**: ناحية مشهورة وهي من الموصل إلى عبادان طولًا ومن القادسية إلى حلوان عرضًا، بها نهر دجلـة ونهر الفرات، فتحها المسـلمون في خلافة عمر بن الخطـاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنوا بها البصرة والكوفة التي اتخذها الخليفة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عاصمة لحكمه.

(٣) **أرمينيـة**: هضبة في آسـيا الصغـرى تقع شرق تركيا وجـزء منها في غرب روسـيا، وهي أول دولة صارت مسيحية.

(٤) **أذربيجان**: إقليم يقع في الشمال الغربي من إيران وجزؤه الشمالي يعرف الآن بجمهورية أذربيجان الإسلامية ويفصل بينهما نهر أراس كان مسكونًا، ويحكمه ملوك قبل القرن الثامن قبل الميلاك، ثم أصبح ضمن الأمبراطورية الفارسية، ويقال أن زرادشت ولد هناك.
فتحها المسلمون في أواخر القرن الأول الهجري السابع الميلادي.

جِهَةِ الشَّمَالِ وَالجَنُوبِ، وَصَارَ الَّذِينَ فِي وَسَطِ الأَرْضِ مِنْهُمْ أَحْسَنُ أَحْوَالِهِمْ إِذَا لَمْ يُسْلِمُوا أَنْ يُؤَدُّوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ.

وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرُوهُ عَنْ «مِيخَا» وَ «عَامُوسَ» إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى مَجِيءِ المَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبُطْلَانِ مَا نَسَخَهُ اللهُ وَأَبْطَلَهُ مِنْ شَرْعِ اليَهُودِ وَمُلْكِهِمْ وَلَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ دِينِ النَّصَارَى الَّذِي لَمْ يَشْرَعْهُ المَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا عَلَى صِحَّتِهِ بَعْدَ أَنْ نُسِخَ بِشَرْعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسْخًا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ نَسْخِ بَعْضِ شَرْعِ مُوسَى بِشَرْعِ المَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

هَذَا إِذَا سَمَّى الشَّرْعَ المُؤَقَّتَ بِغَايَةٍ مَجْهُولَةٍ نَسْخًا، فَإِنَّ الأَوَّلَ لَمْ يُبَشِّرْ بِالثَّانِي.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الأَوَّلُ بَشَّرَ بِالثَّانِي، وَكَانَتْ شَرِيعَةُ الأَوَّلِ مُؤَقَّتَةً إِلَى مَجِيءِ الثَّانِي لَمْ يُسَمِّ ذَلِكَ نَسْخًا، فَالمَسِيحُ وَمُحَمَّدٌ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ - لَمْ يَنْسَخَا شَيْئًا، بَلْ كَانَ شَرْعُ مُوسَى إِلَى مَجِيءِ المَسِيحِ، وَشَرْعُ المَسِيحِ إِلَى مَجِيءِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ -.

وَأَمَّا مَا حُكِيَ عَنْ أَشْعِيَا عَنِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا ظَهَرْتَ إِلَى الأُمَمِ فَهَذَا قَدْ يَحْتَجُّ بِهِ النَّصَارَى وَبِأَمْثَالِهِ مِنْ كَلَامِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى الحُلُولِ الَّذِي ابْتَدَعُوهُ، وَهُوَ بَاطِلٌ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا اللَّفْظِ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ أَهْلِ الكِتَابِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَلَا يُرَادُ بِشَيْءٍ مِنْهَا حُلُولُ ذَاتِ اللهِ فِي أَحَدٍ مِنَ البَشَرِ، كَمَا ذُكِرَ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اسْتَعْلَنَ لِإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ، وَأَنَّ اللهَ يَأْتِي مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ، وَيُشْرِفُ مِنْ سَاعِيرَ، وَيَسْتَعْلِنُ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ.

وَمَعْلُومٌ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ المِلَلِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَحِلَّ فِي مُوسَى وَغَيْرِهِ لَمَّا كَلَّمَهُ، وَلَا يَحِلُّ فِي شَيْءٍ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ مَعَ إِخْبَارِهِ أَنَّهُ اسْتَعْلَنَ مِنْهَا.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣].

فَأَظْهَرَهُ بِالعِلْمِ وَالحُجَّةِ وَالبَيَانِ، وَأَظْهَرَهُ بِاليَدِ وَالسِّنَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥].

قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَغَيْرُهُ: مَثَلُ نُورِهِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وَفِي التِّرْمِذِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

وَقَدْ جَاءَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ تُضِيءُ لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ كَمَا تُضِيءُ الكَوَاكِبُ لِأَهْلِ الأَرْضِ.

وَالمَخْلُوقُ الَّذِي تَظْهَرُ مَحَبَّتُهُ وَذِكْرُهُ وَطَاعَتُهُ فِي بَعْضِ البِلَادِ، يُقَالُ فُلَانٌ قَدْ ظَهَرَ فِي هَذِهِ الأَرْضِ، فَإِذَا ظَهَرَ ذِكْرُ اللهِ وَذِكْرُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيدُهُ وَآيَاتُهُ وَعِبَادَتُهُ حَتَّى امْتَلَأَتِ القُلُوبُ بِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُمْتَلِئَةً بِظُلْمَةِ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ، كَانَ ذَلِكَ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ ظُهُورِهِ، وَهَذَا أَعْظَمُ مَا يَكُونُ فِي بُيُوتِهِ الَّتِي يُعْبَدُ فِيهَا وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ.

---

(١) ضعيف جدًا. رواه الترمذي [٣١٢٧] وضعفه، وفي سنده عطية العوفي ضعيف مدلس. انظر: «الضعيفة» للألباني [١٨٢١]، وقد خرجته في غير هذا الموضع مطولًا.

وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى آيَةَ النُّورِ وَقَالَ: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥].

قَالَ عَقِبَ ذَلِكَ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

وَكَذَلِكَ مَا فِي الكُتُبِ مِنْ ظُهُورِهِ بِبَيْتِ المَقْدِسِ فَهُوَ كَظُهُورِهِ بِطُورِ سَيْنَاءَ وَبِجَبَلِ فَارَانَ، وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يَرَهُ مُوسَى وَلَا غَيْرُهُ، لَا مُجَرَّدًا وَلَا حَالًّا فِي غَيْرِهِ وَقَدْ أَخْبَرَ المَسِيحُ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ، كَمَا أَخْبَرَ غَيْرُهُ وَذَلِكَ نَفْيٌ عَامٌّ يُوجِبُ أَنَّهُ لَا يُرَى لَا مُجَرَّدًا، وَلَا حَالًّا فِي دَارِ الدُّنْيَا كَمَا قَدْ بُسِطَ هَذَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مُلَابَسَةَ الشَّيْءِ أَبْلَغُ مِنْ رُؤْيَتِهِ، فَإِذَا كَانَ الرَّبُّ تَعَالَى لَا يَرَاهُ نَاسُوتٌ فَأَنْ لَا يُلَابِسَهُ نَاسُوتٌ بِطَرِيقِ الأَوْلَى وَالأَحْرَى وَالنَّصَارَى يَزْعُمُونَ أَنَّهُ اتَّحَدَ هُوَ وَالنَّاسُوتُ وَهَذَا أَعْظَمُ مِنَ الرُّؤْيَةِ.

❁ ❁ ❁

orientkanal.com

فَصْلٌ

تنازع اليهود والنصارى في تفسير كتبهم

قَالُوا: فَمَاذَا يَكُونُ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا بُرْهَانًا، وَأَقْوَى شَهَادَةً، إِذْ هَذِهِ كُتُبُ أَعْدَائِنَا الْمُخَالِفِينَ لِدِينِنَا، وَهُمْ يُقِرُّونَ بِذَلِكَ وَيَقْرَءُونَهُ فِي كَنَائِسِهِمْ، وَلَمْ يُنْكِرُوا مِنْهُ كَلِمَةً وَاحِدَةً وَلَا حَرْفًا وَاحِدًا.

وَالجَوَابُ: أَنَّ الأَمْرَ إِذَا كَانَ عَلَى مَا قَالُوهُ مِنْ ثُبُوتِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ عَنْ بَعْضِ الأَنْبِيَاءِ فَلَيْسَ فِيهَا مَدْحٌ لِدِينِهِمْ بَعْدَ التَّبْدِيلِ، فَكَيْفَ بَعْدَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ؟ وَإِنَّمَا فِيهَا إِخْبَارٌ بِزَوَالِ مُلْكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبِنَسْخِ مَا نُسِخَ مِنْ شَرْعِهِمْ بِمَجِيءِ المَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى نُبُوَّةِ المَسِيحِ وَصِدْقِهِ وَهَذَا مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ.

وَالمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَهُمْ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى لِمَرْيَمَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٦].

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّ هَذَا وَغَيْرَهُ مَوْجُودٌ فِي كُتُبِ أَعْدَائِنَا اليَهُودِ.

فَيُقَالُ لَهُمْ لَا رَيْبَ أَنَّ اليَهُودَ يُخَالِفُونَكُمْ فِي تَفْسِيرِ الكُتُبِ، فَأَنْتُمْ تُفَسِّرُونَهَا بِشَيْءٍ، وَهُمْ يُفَسِّرُونَهَا بِشَيْءٍ آخَرَ وَقَدْ يَكُونُ كِلَا التَّفْسِيرَيْنِ بَاطِلًا وَحِينَئِذٍ فَيُقَالُ لَكُمْ كَمَا أَنَّ كُتُبَ الأَنْبِيَاءِ شَاهِدَةٌ لِلْمَسِيحِ وَلِدِينِهِ وَإِنْ خَالَفَتْكُمُ اليَهُودُ فِي تَفْسِيرِهَا، فَكَذَلِكَ هِيَ شَاهِدَةٌ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتِهِ، وَإِنْ خَالَفَ أَهْلُ الكِتَابِ فِي تَفْسِيرِهَا كَمَا قَدْ بَيَّنَ اللهُ فِي كُتُبِ الأَنْبِيَاءِ صِفَةَ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

وَالوَاجِبُ فِي الكُتُبِ إِذَا تَنَازَعَتِ الأُمَمُ فِي تَفْسِيرِهَا أَنْ يَبِينَ الحَقُّ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ وَالعَقْلِيُّ، وَحِينَئِذٍ تَبَيَّنَ أَنَّكُمْ فَسَّرْتُمْ كُتُبَ اللهِ بِأَشْيَاءَ تُخَالِفُ مُرَادَ اللهِ فِي أَمْرِ التَّثْلِيثِ وَالِاتِّحَادِ وَغَيْرِهِ، كَمَا فَعَلَتِ اليَهُودُ بِتَفْسِيرِ الكُتُبِ، كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

❁❁❁

obeikandl.com

فَصْلٌ

رد دعوى النصارى أن محمداً لم يرسل إليهم وشكه فيما جاء به

قَالُوا: وَأَيْضًا فِي قَوْلِ هَذَا الإِنْسَانِ مِمَّا أَتَى فِي كِتَابِهِ حَيْثُ اتَّبَعَ القَوْلَ أَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْنَا مَعَ تَشَكُّكِهِ فِيمَا أَتَى بِهِ فِي هَذَا الكِتَابِ فِي سُورَةِ سَبَأٍ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

وَأَيْضًا فِي سُورَةِ الأَحْقَافِ يَقُولُ: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩].

وَالجَوَابُ: أَنَّ نَقْلَهُمْ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ كَذِبٌ ظَاهِرٌ عَلَيْهِ، فَإِنَّ كِتَابَهُ مَمْلُوءٌ بِدَعْوَتِهِمْ وَأَمْرِهِ لَهُمْ بِالإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ، بَلْ وَبِعُمُومِ رِسَالَتِهِ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، بَلْ وَإِلَى الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَلَيْسَ فِيهِ قَطُّ أَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَى أَهْلِ الكِتَابِ، بَلْ فِيهِ التَّصْرِيحُ بِدَعْوَةِ أَهْلِ الكِتَابِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَقَدْ كَتَبَ النَّبِيُّ بِهَذِهِ الآيَةِ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ النَّصَارَى الَّذِي اسْمُهُ هِرَقْلُ بِالشَّامِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ، وَتَقَدَّمَ أَيْضًا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ٦].

يَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يُنْذِرِ الأُمِّيِّينَ، وَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ لَا يُنْذِرُ غَيْرَهُمْ، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

يَقْتَضِي إِنْذَارَ قَوْمِهِ وَلَا يُنَافِي أَنْ يُنْذِرَ غَيْرَهُمْ مِنَ العَرَبِ كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ فِي قُرَيْشٍ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [قريش: ٣-٤].

لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ قُرَيْشٍ مَأْمُورِينَ بِعِبَادَةِ رَبِّ هَذَا البَيْتِ، بَلْ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ الثَّقَلَيْنِ: الجِنِّ وَالإِنْسِ أَنْ يَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ سَكَتَ عَنْ مَا سِوَى الأُمِّيِّينَ فِي هَذَا، فَيُشْعِرُ بِالنَّفْيِ بِدَلِيلِ الخِطَابِ الَّذِي يُسَمَّى مَفْهُومَ المُخَالَفَةِ، قِيلَ ذَاكَ إِنَّمَا يَدُلُّ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي التَّخْصِيصِ فَائِدَةٌ سِوَى الِاخْتِصَاصِ بِالحُكْمِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ حُكْمَ المَسْكُوتِ كَحُكْمِ المَنْطُوقِ، وَهُنَا لَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ، أَمَرَهُ أَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الأَقْرَبِينَ أَوَّلًا، ثُمَّ يُنْذِرُ العَرَبَ الأُمِّيِّينَ ثُمَّ أَهْلَ الكِتَابِ وَالمَجُوسَ وَغَيْرَهُمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَسْطُ هَذَا.

❁❁❁

obeikandl.com

فَصْلٌ

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ مَعَ تَشَكُّكِهِ فِيمَا أَتَى بِهِ فَمِنَ الكَذِبِ البَيِّنِ فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٦].

فَإِنَّهُ لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَبَيَّنَ أَنَّ مَا يَدْعُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ، وَلَا هُوَ شَرِيكٌ، وَلَا هُوَ ظَهِيرٌ وَلَا يَنْفَعُ شَفِيعٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، نَفَى بِذَلِكَ جَمِيعَ وُجُوهِ الشِّرْكِ، فَإِنَّ مَا يُشْرَكُ بِهِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مُلْكٌ أَوْ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، أَوْ يَكُونَ مُعِينًا، فَإِذَا انْتَفَتِ الثَّلَاثَةُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي هِيَ دُعَاءٌ لَكَ وَمَسْأَلَةٌ وَتِلْكَ لَا تَنْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ هَذَا أَنَّهُ لَا رَازِقَ يَرْزُقُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلَّا اللهُ دَلَّ بِهَذَا وَهَذَا عَلَى التَّوْحِيدِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٥٣-٥٥].

فَلَمَّا ذَكَرَ مَا دَلَّ عَلَى وُجُوبِ تَوْحِيدِهِ، وَبَيَانِ أَنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ هُمْ عَلَى الهُدَى، وَأَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ عَلَى الضَّلَالِ قَالَ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤].

يَقُولُ: إِنَّ أَحَدَ الفَرِيقَيْنِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ، وَأَهْلِ الشِّرْكِ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

وَهَذَا مِنَ الإِنْصَافِ فِي الخِطَابِ الَّذِي كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ وَلِيٍّ وَعَدُوٍّ قَالَ لِمَنْ خُوطِبَ بِهِ قَدْ أَنْصَفَكَ صَاحِبُكَ، كَمَا يَقُولُ العَادِلُ الَّذِي ظَهَرَ عَدْلُهُ لِلظَّالِمِ الَّذِي ظَهَرَ ظُلْمُهُ: الظَّالِمُ إِمَّا أَنَا وَإِمَّا أَنْتَ، لَا لِلشَّكِّ فِي الأَمْرِ الظَّاهِرِ، وَلَكِنْ لِبَيَانِ أَنَّ أَحَدَنَا ظَالِمٌ ظَاهِرُ الظُّلْمِ، وَهُوَ أَنْتَ لَا أَنَا.

فَإِنَّهُ إِذَا قِيلَ: أَهْلُ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللهَ عَلَى هُدًى، أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، وَأَهْلُ الشِّرْكِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ عَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

تَبَيَّنَ أَنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ عَلَى الهُدَى، وَأَهْلَ الشِّرْكِ عَلَى الضَّلَالِ، وَهَذَا مِمَّا يَعْلَمُهُ جَمِيعُ المِلَلِ مِنَ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ وَالنَّصَارَى، يَعْلَمُونَ أَنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ عَلَى الهُدَى، وَأَهْلَ الشِّرْكِ عَلَى الضَّلَالِ.

وَفِي القُرْآنِ فِي بَيَانِ مِثْلِ هَذَا مَا لَا يُحْصَى إِلَّا بِكُلْفَةٍ، بَلْ قُطْبُ القُرْآنِ وَسَائِرِ الكُتُبِ وَمَدَارُهَا عَلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، فَكَيْفَ يُقَالُ إِنَّ الرَّسُولَ كَانَ يَشُكُّ هَلِ المُهْتَدَى هُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ أَمْ أَهْلُ الشِّرْكِ؟ وَهَلْ يَقُولُ هَذَا إِلَّا مَنْ هُوَ فِي غَايَةِ الجَهْلِ وَالعِنَادِ.

ثُمَّ الآيَةُ خِطَابٌ لِلْمُشْرِكِينَ لَيْسَتْ خِطَابًا لِلنَّصَارَى خُصُوصًا.

❁❁❁

فَصْلٌ

الرسول بشر لا يعلم الغيب ولا يقول إني ملك

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ)، فَلَفْظُ الآيَةِ: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف: ٩].

وَهَـذَا بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الأحقاف: ٨].

وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وَهَـذَا قَالَـهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلُ الرُّسُـلِ، وَأُمِـرَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخِرُ الرُّسُـلِ أَنْ يَقُولَهُ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢١-٢٣].

وَهَذَا وَنَحْوُهُ يَتَضَمَّنُ اعْتِرَافَهُ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُـولٌ مِنَ اللهِ لَا يَتَعَدَّى حَدَّ الرِّسَـالَةِ وَلَا يَدَّعِـي الْمُشَـارَكَةَ فِي الأُلُوهِيَّـةِ، كَمَا ادَّعَتْـهُ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

فَتَبَـيَّنَ أَنَّهُ لَا يَتَعَدَّى حَدَّ الرِّسَـالَةِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وَلِهَـذَا قَـالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الحَدِيـثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِـهِ: «**لَا تُطْرُونِي كَـمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**».

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩].

يَقُولُ لَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أُرْسِلَ، أَوِ ادَّعَى الرِّسَالَةَ، بَلْ قَدْ تَقَدَّمَ قَبْلِي رُسُلٌ: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩].

يَقُولُ لَا أَدَّعِي عِلْمَ الغَيْبِ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ أُنْذِرُكُمْ بِمَا أَمَرَنِي اللهُ أَنْ أُنْذِرَكُمْ بِهِ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ صِدْقِهِ وَعَدْلِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ للهِ وَطَاعَتِهِ، وَتَمْيِيزِ مَا يَسْتَحِقُّهُ الخَالِقُ وَحْدَهُ مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ العَبْدُ، فَإِنَّ العِلْمَ بِعَوَاقِبِ الأُمُورِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ، فَلَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الرَّسُولِ أَنْ يَعْلَمَ كُلَّ مَا يَكُونُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾، نَفْيٌ لِعِلْمِهِ بِجَمِيعِ مَا يُفْعَلُ بِهِ وَبِهِمْ وَهَذَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهَذَا لَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِأَنَّهُ سَعِيدٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَدْرِ تَفَاصِيلَ مَا يَجْرِي لَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ المِحَنِ وَالأَعْمَالِ، وَمَا يَتَجَدَّدُ لَهُ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَمَا يُكْرَمُ بِهِ فِي الآخِرَةِ مِنْ أَصْنَافِ النَّعِيمِ، فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»(١)، وَأَيْضًا هَذَا مَأْثُورٌ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَلَا مِنْ شَرْطِ النَّبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ حَالَ المُخَاطَبِينَ: مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرُ، وَتَفْصِيلَ مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ، هَذَا إِنْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ مَا نُفِيَ فِيهَا، وَإِنْ قِيلَ إِنَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ فَمَعْلُومٌ أَنَّ اللهَ لَمْ يُعْلِمْهُ بِكُلِّ شَيْءٍ جُمْلَةً، بَلْ أَعْلَمَهُ بِالأُمُورِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٢٤٤]، [٤٧٧٩]، ومسلم [٢٨٢٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد خرجته مطولًا في «النهاية في الفتن والملاحم» للعماد ابن كثير رحمه الله، فأغني عن الإعادة.

وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

وَفِي القُرْآنِ وَالأَحَادِيثِ عَنْهُ ﷺ مِنَ الإِخْبَارِ بِمَا سَيَكُونُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا يُوجَدُ عَنِ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، حَتَّى إِنَّهُ يُنَبِّئُ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ مَا يَبِينُ مِنَ السِّنِينَ خَبَرًا أَكْمَلَ مِنْ خَبَرِ مَنْ عَايَنَ ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الأَعْيُنِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ، حُمْرَ الخُدُودِ، يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، فَمَنْ رَأَى هَؤُلَاءِ التُّرْكَ(١) الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ المُسْلِمُونَ مِنْ حِينِ خَرَجَ جِنْكِزْ خَانْ(٢) مَلِكُهُمُ الأَكْبَرُ وَأَوْلَادُهُ وَأَوْلَادُ أَوْلَادِهِ، مِثْلُ هُولَاكُو(٣) وَغَيْرِهِ مِنْ مُلُوكِ التُّرْكِ الكُفَّارِ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ المُسْلِمُونَ، لَمْ يَحْسُنْ أَنْ يَصِفَهُمْ بِأَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ.

---

(١) **يقصد بالترك**: المغول القادمين من أواسط آسيا، وليس الأتراك المنسوبين إلى تركيا المعروفة الآن في شمال الشام.

(٢) **جنكز خان**: هو قائد مغولي اسمه الأصلي «تيموجين» خلف أباه «يقوصاي» رئيسًا للتحالف المغولي. ذكر ابن كثير أن ابتداء حكمه سنة ٥٥٩هـ، ووفاته كانت سنة ٦٢٤هـ، وهو والد ملوك التتار، وينسبون إليه.

(٣) **هولاكو خان**: قائد مغولي حفيد «جنكز خان» وأحد ملوك التتار، والعامة يسمونه هولاوون، وكان جبارًا فاجرًا قتل من المسلمين ما لا يحصى عدده. وهو الذي دخل بغداد وخربها وقتل الخليفة سنة ٦٥٦هـ، مات سنة ٦٦٤هـ، وقيل ٦٦٣هـ.

وَقَدْ أَخْبَرَ بِهَذَا قَبْلَ ظُهُورِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ، وَقَوْلِهِ: ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الإِبِلِ بِبُصْرَى**»[(١)]، وَهَذِهِ النَّارُ ظَهَرَتْ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِأَرْضِ الحِجَازِ، فَكَانَتْ تَحْرِقُ الحَجَرَ وَلَا تُنْضِجُ اللَّحْمَ، وَرَأَى أَهْلُ بُصْرَى أَعْنَاقَ الجِمَالِ مِنْ ضَوْءِ تِلْكَ النَّارِ، وَكَانَتْ مُنْذِرَةً بِمَا يَكُونُ بَعْدَهَا، فَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ دَخَلَ هُولَاكُو مَلِكُ الكُفَّارِ بَغْدَادَ، وَقَتَلَ فِيهَا مَقْتَلَةً عَظِيمَةً مَشْهُورَةً (وَسَيَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللهُ - بَعْضُ أَخْبَارٍ أَنَّهُ شَاهَدَ النَّاسُ وُقُوعَهَا كَمَا أَخْبَرْنَا عِنْدَ ذِكْرِنَا مُعْجِزَاتِهِ).

❁❁❁

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، وخرجته مطولًا بطرقه في «النهاية في الفتن» لابن كثير، وهو مطبوع بمعرفة دار البصيرة.

obeikandl.com

فَصْلٌ

ثُـمَّ قَالُـوا: مَعَ الأَمْـرِ لَهُ فِي فَاتِحَـةِ الكِتَابِ أَنْ يَسْـأَلَ الهِدَايَـةَ إِلَى الصِّرَاطِ المُسْـتَقِيمِ، صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، فَإِنَّهُ عَنَى بِقَوْلِهِ: المُنْعَمِ عَلَيْهِمْ وَالمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ الثَّلَاثَ أُمَمٍ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِهِ، وَهُمُ: النَّصَارَى، وَاليَهُودُ وَعُبَّادُ الأَصْنَامِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ غَيْرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثِ أُمَمٌ.

فَالمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ نَحْنُ النَّصَارَى وَالمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ فَلَا - يُشَكُّ أَنَّهُمُ - اليَهُودُ، الَّذِينَ غَضِـبَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كُتُبِ التَّوْرَاةِ وَالأَنْبِيَـاءِ وَهَذَا الكِتَابِ، وَالضَّالِّينَ فَهُمْ عُبَّادُ الأَصْنَامِ الَّذِينَ ضَلُّوا عَنِ اللهِ، فَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ بَيِّنٌ ظَاهِرٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ، وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ ذَوِي العُقُولِ وَالمَعْرِفَـةِ وَالصِّرَاطُ: هُوَ المَذْهَبُ، أَيِ الطَّرِيقُ، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ رُومِيَّةٌ، لِأَنَّ الطَّرِيقَ بِالرُّومِيَّةِ اسْطِرَاطَا.

وَالجَوَابُ:

أَمَّـا قَوْلُهُمْ: المُنْعَمُ عَلَيْهِمْ نَحْنُ النَّصَارَى، فَمِـنَ العَجَائِبِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى فَرْطِ جَهْلِ صَاحِبِهَـا، وَأَعْجَـبُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: إِنَّ هَذَا شَيْءٌ بَيِّنٌ وَاضِحٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ، لَا سِـيَّمَا عِنْدَ ذَوِي العَقْلِ وَالمَعْرِفَةِ، فَيَا سُبْحَانَ اللهِ!

أَلَمْ يَعْرِفِ العَامَ وَالخَاصَ عِلْمًا ضَرُورِيًّا لَا تُمْكِنُ المُنَازَعَةُ فِيهِ مِنْ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَدِينِ أُمَّتِهِ الَّذِي تَلَقَّوْهُ عَنْهُ مِنْ تَكْفِيرِ النَّصَارَى وَتَجْهِيلِهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ وَاسْتِحْلَالِ جِهَادِهِمْ وَسَبْيِ حَرِيمِهِمْ وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ، مَا يُنَاقِضُ كُلَّ المُنَاقَضَةِ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ اهْدِنَا صِرَاطَ النَّصَارَى.

وَهَلْ يَنْسِبُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأُمَّتَهُ إِلَى أَنَّهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ يَطْلُبُونَ مِنَ اللهِ أَنْ يَهْدِيَهُمْ صِرَاطَ النَّصَارَى إِلَّا مَنْ هُوَ مِنْ أَكْذَبِ الكَذَّابِينَ وَأَعْظَمِ الخَلْقِ افْتِرَاءً وَوَقَاحَةً وَجَهْلًا وَضَلَالًا؟

وَلَوْ كَانُوا يَسْأَلُونَ اللهَ هِدَايَةَ طَرِيقِ النَّصَارَى، لَدَخَلُوا فِي دِينِ النَّصَارَى، وَلَمْ يُكَفِّرُوهُمْ وَيُقَاتِلُوهُمْ، وَيَضَعُوا عَلَيْهِمِ الجِزْيَةَ الَّتِي يُؤَدُّونَهَا عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ، وَلَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَأُمَّتُهُ أَخَذُوا ذَلِكَ جَمِيعَهُ عَنْهُ مَنْقُولًا عَنْهُ بِالنَّقْلِ المُتَوَاتِرِ بِإِجْمَاعِهِمْ، لَمْ يَبْتَدِعُوا ذَلِكَ، كَمَا ابْتَدَعَتِ النَّصَارَى مِنَ العَقَائِدِ وَالشَّرَائِعِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ، فَلَا يُلَامُ المُسْلِمُونَ فِي اتِّبَاعِهِمْ لِرَسُولِ اللهِ الَّذِي جَاءَ بِالبَيِّنَاتِ وَالهُدَى.

وَمُحَمَّدٌ ﷺ إِنْ كَانَ رَسُولًا صَادِقًا، فَقَدْ كَفَّرَ النَّصَارَى، وَأَمَرَ بِجِهَادِهِمْ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ وَمِنْ دِينِهِمْ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا لَمْ يُقْبَلْ شَيْءٌ مِمَّا نَقَلَهُ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المَائِدَة: ٧٣].

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المَائِدَة: ٧٢].

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التَّوْبَة: ٣٠-٣١].

فَمَنْ يَقُولُ عَنِ النَّصَارَى مِثْلَ هَذِهِ الأَقْوَالِ هَلْ يَأْمُرُ أُمَّتَهُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يَقُولُوا: اهْدِنَا طَرِيقَهُمْ؟

ثُمَّ يُقَالُ: أَيُّ شَيْءٍ فِي الآيَةِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، هُمُ النَّصَارَى؟

وَإِنَّمَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ هُمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّسَاء: ٦٩].

فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَمَرَ اللهُ عِبَادَهُ أَنْ يَسْأَلُوا هِدَايَةَ صِرَاطِهِمْ.

وَأَمَّا النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا عَلَى دِينِ المَسِيحِ قَبْلَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ فَهُمْ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَنَّ اليَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى دِينِ مُوسَى قَبْلَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ كَانُوا مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا النَّصَارَى بَعْدَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ فَهُمْ مِنَ الضَّالِّينَ، لَا مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المَائِدَة: ٧٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مَرْيَم: ٣٨].

وَعُبَّادُ الأَصْنَامِ مِنَ الضَّالِّينَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اليَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ**»(١) رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٨-٣٧٩) وابن أبي حاتم في «التفسير» [٤٠] وابن حبان [٦٢٤٦] والطبراني (١٧/ ٢٣٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٧٠) والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٣٣٩-٣٤٠) والمزِّي في «تهذيب الكمال» ترجمة عباد بن حبيش من طريق الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال: سمعت سماك بن حرب قال: سمعت عباد بن حبيش يحدث عن عدي بن حاتم، به مطولًا.
والإسناد رجاله ثقات عدا عباد بن حبيش لم يرو عنه غير سماك ولم يوثقه إلا ابن حبان، وقال الذهبي في «الميزان» لا يعرف.
وأخرجه الترمذي [٢٩٥٤] والطبري [١٩٤] [٢٠٨] وابن حبان [٧٢٠٦] [٧٣٦٥] والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٣٧) من طريق محمد بن جعفر، به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ولا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب. =

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ اليَهُودَ يَعْرِفُونَ الحَقَّ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ، وَالنَّصَارَى يَعْبُدُونَ بِلَا عِلْمٍ، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ اليَهُودَ بِأَعْمَالٍ، وَالنَّصَارَى بِأَعْمَالٍ، فَوَصَفَ اليَهُودَ بِالكِبْرِ وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ وَالقَسْوَةِ وَكِتْمَانِ العِلْمِ وَسُلُوكِ سَبِيلِ الغَيِّ وَهُوَ سَبِيلُ الشَّهَوَاتِ وَالعُدْوَانِ.

وَذَكَرَ عَنِ النَّصَارَى الغُلُوَّ وَالبِدَعَ فِي العِبَادَاتِ وَالشِّرْكَ وَالضَّلَالَ وَاسْتِحْلَالَ مَحَارِمِ اللهِ، فَـ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النِّسَاء: ١٧١-١٧٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحَدِيد: ٢٧].

= وأخرجه الترمذي [٢٩٥٣] وابن أبي حاتم في «تفسيره» [٤١] من طريق عمرو بن أبي قيس، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٣٦) من طريق قيس بن الربيع وهو ضعيف، كلاهما عن سماك، به.
لكن محل الشاهد المذكور، تابع عليه عباد بن حبيش، الشعبي، فرواه الطبري في «تفسيره» [١٩٣]، [٢٠٧]، وكذلك مُرَّي بن قطري، فرواه الطبري [١٩٥]، [٢٠٩] كلاهما عن عدي، به.
والشعبي معروف، ولكن مُرَّي بن قطري مجهول، فالقدر المذكور في الكتاب بهذه المتابعات حسن إن شاء الله.

onelkanal.com

أَيْ: لَكِنْ كَتَبْنَا عَلَيْهِمُ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ، لَمْ نَكْتُبْ عَلَيْهِمُ الرَّهْبَانِيَّةَ[(١)]، بَلْ هُمُ ابْتَدَعُوهَا وَمَعَ ابْتِدَاعِهِمْ إِيَّاهَا فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ فَهُمْ مَذْمُومُونَ عَلَى ابْتِدَاعِ الرَّهْبَانِيَّةِ وَعَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَرْعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا.

وَأَمَّا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ ابْتِغَاءِ رِضْوَانِ اللهِ فَيَحْصُلُ بِفِعْلِ مَا شَرَعَهُ اللهُ لَهُمْ مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَرْضَاهُ، وَمَنْ فَعَلَ مَا يَرْضَاهُ اللهُ فَقَدْ فَعَلَ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ، وَيَحْصُلُ رِضْوَانُ اللهِ أَيْضًا بِمُجَرَّدِ فِعْلِ الوَاجِبَاتِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَلَى العِبَادِ، فَإِذَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءُ رِضْوَانِ اللهِ كَانَ ابْتِغَاءُ رِضْوَانِهِ وَاجِبًا، فَمَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ لَا يُشْتَرَطُ فِي حُصُولِ مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ.

وَلِهَذَا ضَعَّفَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُ الحَدِيثَ المَرْوِيَّ: «**أَوَّلُ الوَقْتِ رِضْوَانُ اللهِ وَآخِرُهُ عَفْوُ اللهِ**»[(٢)]، فَإِنَّ مَنْ صَلَّى فِي آخِرِ الوَقْتِ كَمَا أُمِرَ فَقَدْ فَعَلَ الوَاجِبَ، وَبِذَلِكَ يَرْضَى اللهُ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ فِعْلُ المُسْتَحَبَّاتِ وَالمُسَابَقَةُ إِلَى الطَّاعَاتِ أَبْلَغَ فِي إِرْضَاءِ اللهِ، وَيَحْصُلُ لَهُ

---

(١) **الرهبانية**: يقصد بها الانقطاع عن ملذات الحياة والزهد فيها وترك أكثر المباحات وبخاصة الزواج انقطاعًا للعبادة في الأديرة، وتطورت الرهبنة بعد ذلك وأصبح لها نظم وتعليمات من أبرزها الطاعة التامة للأب رئيس الدير، ولكن حصل هناك جوانب سيئة في الأديرة من الرهبان والراهبات وفساد أخلاقي بمعرفة الكهنة والآباء المسيحيين.

(٢) باطل: رواه الترمذي [١٧٢]، والدارقطني (١/ ٢٤٩-٢٥٠)، والبيهقي (١/ ٤٣٥) وفي سنده يعقوب بن الوليد واهٍ، نقل البيهقي عن ابن عدي قال: «هذا الحديث بهذا الإسناد باطل»، ثم قال البيهقي: «هذا حديث يعرف بيعقوب بن الوليد المدني، ويعقوب منكر الحديث، ضعفه يحيى بن معين، وكذبه أحمد بن حنبل وسائر الحفاظ ونسبوه إلى الوضع. نعوذ بالله من الخذلان. وقد رُوي بأسانيد أُخر كلها ضعيفة». اهـ.
وراجع «بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر (١٥٩، ١٦٠)، و«سبل السلام» جـ[١] ص[١٧٤] ط. دار الحديث، و«كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى» للحافظ الدمياطي رحمه الله ص[١١٧]، وتعليق العلامة أبي الأشبال أحد بن محمد شاكر (قدس الله روحه ونور ضريحه) على الحديث رقم [١٧٢] من «سنن الترمذي».

بِذَلِكَ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ وَمَحَبَّتِهِ مَا لَا يَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ الوَاجِبَاتِ، كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي فَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ رُوحِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ**»(١).

فَقَوْلُهُ: «**حَتَّى أُحِبَّهُ**» يُرِيدُ المَحَبَّةَ المُطْلَقَةَ الكَامِلَةَ، وَأَمَّا أَصْلُ المَحَبَّةِ: فَهِيَ حَاصِلَةٌ بِفِعْلِ الوَاجِبَاتِ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ وَالمُقْسِطِينَ، وَمَنْ أَدَّى الوَاجِبَاتِ فَهُوَ مِنَ المُتَّقِينَ المُقْسِطِينَ.

وَقَالَ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[التوبة: ٣٠-٣١]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

---

(١) أخرجه البخاري [٦٥٠٢] عن أبي هريرة وقد سبق تخريجه.

وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - خَاطَبَ النَّصَارَى بِهَذَا لِأَنَّ النَّصَارَى يَعْتَمِدُونَ فِي دِينِهِمْ عَلَى مَا يَقُولُهُ كُبَرَاؤُهُمُ الَّذِينَ وَضَعُوا لَهُمُ القَوَانِينَ وَالنَّوَامِيسَ وَيُسَوِّغُونَ لِأَكَابِرِهِمُ الَّذِينَ صَارُوا عِنْدَهُمْ عُظَمَاءَ فِي الدِّينِ أَنْ يَضَعُوا لَهُمْ شَرِيعَةً وَيَنْسَخُوا بَعْضَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ، لَا يَرُدُّونَ مَا يَتَنَازَعُونَ فِيهِ مِنْ دِينِهِمْ إِلَى اللهِ وَرُسُلِهِ، بِحَيْثُ لَا يُمَكِّنُونَ أَحَدًا مِنَ الخُرُوجِ عَنْ كُتُبِ اللهِ المُنَزَّلَةِ كَالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَعَنِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ المَسِيحُ، وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المَائِدَة: ٦٨].

بَلْ مَا وَضَعَهُ لَهُمْ أَكَابِرُهُمْ مِنَ القَوَانِينِ الدِّينِيَّةِ وَالنَّوَامِيسِ الشَّرْعِيَّةِ بَعْضُهَا يَنْقُلُونَهُ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَبَعْضُهَا عَنِ الحَوَارِيِّينَ، وَكَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ مَنْقُولًا، لَا عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَلَا عَنِ الحَوَارِيِّينَ، بَلْ مِنْ وَضْعِ أَكَابِرِهِمْ وَابْتِدَاعِهِمْ.

كَمَا ابْتَدَعُوا لَهُمُ الأَمَانَةَ الَّتِي هِيَ أَصْلُ عَقِيدَتِهِمْ، وَابْتَدَعُوا لَهُمُ الصَّلَاةَ إِلَى الشَّرْقِ، وَابْتَدَعُوا لَهُمْ تَحْلِيلَ لَحْمِ الخِنْزِيرِ، وَسَائِرِ المُحَرَّمَاتِ، وَابْتَدَعُوا لَهُمُ الصَّوْمَ وَقْتَ الرَّبِيعِ، وَجَعَلُوهُ خَمْسِينَ يَوْمًا، وَابْتَدَعُوا لَهُمْ أَعْيَادَهُمْ، كَعِيدِ الصَّلِيبِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الأَعْيَادِ.

وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ لَمَّا سَمِعَهُ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

فَقَالَ: لِمَ يَعبدُوهُم؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّهُمْ أَحَلُّوا لَهُمُ الحَرَامَ فَأَطَاعُوهُمْ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الحَلَالَ فَأَطَاعُوهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ عِبَادَتَهُمْ**»(١).

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المَائِدَة: ٧٧].

---

(١) خرجته مطولًا في «السيرة النبوية» لابن هشام، وراجع الترمذي [٥٠٩٣].

فَإِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَ أَكَابِرِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ، وَأُولَئِكَ ضَلُّوا مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ وَأَضَلُّوا أَتْبَاعَهُمْ، وَهُمْ كَثِيرُونَ، وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَهُوَ وَسَطُ السَّبِيلِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فَإِنْ كَانُوا هُمْ وَأَتْبَاعُهُمْ ضَالِّينَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَأْمُرَ اللهُ عِبَادَهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ أَنْ يَهْدِيَهُمُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَيَعْنِيَ بِهِ صِرَاطَ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ الْمُضِلِّينَ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.

وَقَدْ قَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ﴾ هَؤُلَاءِ لِأَنَّ أَصْلَ ابْتِدَاعِهِمْ هَذِهِ الْبِدْعَةَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَعَ ظَنٍّ كَاذِبٍ، فَكَانُوا مِمَّنْ قِيلَ فِيهِمْ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

وَمِمَّنْ قِيلَ فِيهِ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَسِيحَ ﷺ لَمَّا رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ وَعَادَاهُ الْيَهُودُ، وَعَادَوْا أَتْبَاعَهُ عَدَاوَةً شَدِيدَةً، وَبَالَغُوا فِي أَذَاهُمْ وَإِذْلَالِهِمْ وَطَلَبِ قَتْلِهِمْ وَنَفْيِهِمْ، صَارَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ بُغْضِ الْيَهُودِ، وَطَلَبِ الِانْتِقَامِ مِنْهُمْ مَا لَا يُوصَفُ، فَلَمَّا صَارَ لَهُمْ دَوْلَةٌ وَمُلْكٌ مِثْلَ مَا صَارَ لَهُمْ فِي دَوْلَةِ قُسْطَنْطِينَ، صَارُوا يُرِيدُونَ مُقَابَلَةَ الْيَهُودِ.

كَمَا جَرَتِ الْعَادَةُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ بَيْنَ الطَّوَائِفِ الْمُتَقَابِلَةِ الْمُتَنَازِعِينَ فِي الْمُلْكِ، وَالْمُتَنَازِعِينَ فِي الْبِدَعِ كَالْخَوَارِجِ، وَالرَّوَافِضِ(١)، وَالْجَبْرِيَّةِ مَعَ الْقَدَرِيَّةِ(٢) وَالْمُعَطِّلَةِ مَعَ الْمُمَثِّلَةِ، وَكَالدَّوْلَتَيْنِ الْمُتَنَازِعَتَيْنِ عَلَى الْمُلْكِ وَالْأَهْوَاءِ بِمَنْزِلَةِ قَيْسٍ(٣) وَيَمَنٍ(٤)، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

---

(١) **الروافض**: فرقة من الشيعة، وقد سموا بهذا الاسم لأنهم رفضوا اتباع زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب لما خالف رأيهم في سب أبي بكر وعمر، ومذهبهم حصر الإمامة في علي وذريته، وبغض من عداهم من الصحابة، وخاصةً الشيخين رضي الله عنهما.

(٢) **القدرية**: طائفة من الفرق الإسلامية وهي ضد الجبرية، ويقولون بإنكار القدر وأن الإنسان يخلق فعل نفسه، ويقال: إن أول من أعلن ذلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي.

(٣) **قيس**: شعب عظيم ينتسب إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وغلب اسم قيس على سائر العدنانيين.

(٤) **يمن**: عرب اليمن وما عداهم يعرف بقيس ويقال في المثل قيس ويمن.

إِذَا ظَهَرَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الأُخْرَى بَعْدَمَا آذَتْهَا الأُخْرَى وَانْتَقَمَتْ مِنْهَا تُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ بِثَأْرِهَا، وَلَا تَقِفَ عِنْدَ حَدِّ العَدْلِ، بَلْ تَعْتَدِي عَلَى تِلْكَ كَمَا اعْتَدَتْ تِلْكَ عَلَيْهَا.

فَصَارَ النَّصَارَى يُرِيدُونَ مُنَاقَضَةَ اليَهُودِ فَأَحَلُّوا مَا يُحَرِّمُهُ اليَهُودُ كَالخِنْزِيرِ وَغَيْرِهِ، وَصَارُوا يَمْتَحِنُونَ مَنْ دَخَلَ فِي دِينِهِمْ بِأَكْلِ الخِنْزِيرِ، فَإِنْ أَكَلَهُ وَإِلَّا لَمْ يَجْعَلُوهُ نَصْرَانِيًّا.

وَتَرَكُوا الخِتَانَ(١)، وَقَالُوا: إِنَّ المَعْمُودِيَّةَ(٢) عِوَضٌ عَنْهُ، وَصَلَّوْا إِلَى قِبْلَةٍ غَيْرِ قِبْلَةِ اليَهُودِ(٣).

---

(١) **الختان**: هو إزالة القلفة من ذكر الرجل، وهي عادة قديمة جدًا عند الشعوب السامية، وأول من اختتن إبراهيم عليه السلام، واليهود يختتنون لأن التوراة نصت على ذلك في سفر التكوين الإصحاح السابع عشر بما يلي: (١٠ - هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختتن منكم كل ذكر).
وكان المسيح مختونًا على سنة الرسل قبله، ورد في إنجيل برنابا الفصل الخامس (فلما تمت الأيام الثانية حسب شريعة الرب، كما هو مكتوب في كتاب موسى، أخذا الطفل واحتملاه إلى الهيكل ليختناه فختن الطفل وسمياه يسوع).

(٢) **التعميد**: من شعائر المسيحية، وكان موجودًا عند اليهود فكان يحيى المعمدان بن زكريا يعمد الناس في نهر الأردن، والتعميد يكون برش الماء على الجبهة أو غمس جزء من الجسم بالماء، وأحيانًا يغمس الشخص كله في الماء، ولابد أن يقوم بذلك كاهن يعمد الشخص باسم الأب والابن وروح القدس، وهم يشيرون بذلك إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم المسيح.
انظر: «تاريخ الأقباط» لزكي شنودة ص[٨]؛ و«المسيحية» للدكتور/ أحمد شلبي ص[١٦٨]، ط.[٧].
وقد حدثني شخص من النصارى بمصر - وقد أسلم والحمد لله - عندما سألته عن التعميد فقال: إنهم علمونا أن الطفل إذا لم يعمد يصير مسلمًا.
فذكرني هذا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه**...» الحديث.

(٣) **قبلة اليهود**: بيت المقدس. وقبلة النصارى التي صلوا إليها المشرق مطلع الشمس.
انظر: «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٨٥).

openkanar.com

وَكَانَ اليَهُودُ قَدْ أَسْرَفُوا فِي ذَمِّ المَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَعَمُوا أَنَّهُ وَلَدُ زِنَا، وَأَنَّهُ كَذَّابٌ سَاحِرٌ.

فَغَلَوْا هَؤُلَاءِ فِي تَعْظِيمِ المَسِيحِ، وَقَالُوا: إِنَّهُ اللهُ وَابْنُ اللهِ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، وَصَارَ مَنْ يَطْلُبُ أَنْ يَقُولَ فِيهِ القَوْلَ العَدْلَ مِثْلَ كَثِيرٍ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَعُبَّادِهِمْ، يَجْمَعُونَ لَهُ مَجْمَعًا وَيَلْعَنُونَهُ فِيهِ عَلَى وَجْهِ التَّعَصُّبِ، وَاتِّبَاعِ الهَوَى، وَالغُلُوِّ فِيمَنْ يُعَظِّمُونَهُ، كَمَا يَجْرِي مِثْلُ ذَلِكَ لِأَهْلِ الأَهْوَاءِ، كَالفَلَاةِ فِي بَعْضِ المَشَايِخِ، وَبَعْضِ أَهْلِ البَيْتِ، وَبَعْضِ العُلَمَاءِ وَبَعْضِ المُلُوكِ، وَبَعْضِ القَبَائِلِ وَبَعْضِ المَذَاهِبِ، وَبَعْضِ الطَّرَائِقِ، فَإِنَّمَا كَانَ مَصْدَرُ ضَلَالِهِمْ أَهْوَاءَ نُفُوسِهِمْ، قَالَ تَعَالَى لِلنَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا فِي وَقْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المَائِدَة: ٧٧].

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّ الصِّرَاطَ هُوَ المَذْهَبُ أَيِ الطَّرِيقُ، وَهَذِهِ لَفْظَةٌ رُومِيَّةٌ لِأَنَّ الطَّرِيقَ بِالرُّومِيَّةِ اسْطِرَاطَا.

فَيُقَالُ لَهُمْ: الصِّرَاطُ فِي لُغَةِ العَرَبِ: هُوَ الطَّرِيقُ، يُقَالُ: هُوَ الطَّرِيقُ الوَاضِحُ، وَيُقَالُ: هُوَ الطَّرِيقُ المَحْدُودُ بِجَانِبَيْنِ الَّذِي لَا يَخْرُجُ عَنْهُ، وَمِنْهُ الصِّرَاطُ المَنْصُوبُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَهُوَ الجِسْرُ الَّذِي يَعْبُرُ عَلَيْهِ المُؤْمِنُونَ إِلَى الجَنَّةِ، وَإِذَا عَبَرَ عَلَيْهِ الكُفَّارُ سَقَطُوا فِي جَهَنَّمَ، وَيُقَالُ فِيهِ: مَعْنَى الِاسْتِوَاءِ وَالِاعْتِدَالِ الَّذِي يُوجِبُ سُرْعَةَ العُبُورِ عَلَيْهِ، وَفِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ، هِيَ ثَلَاثُ قِرَاءَاتٍ: الصِّرَاطُ، وَالسِّرَاطُ، وَالزِّرَاطُ، وَهِيَ لُغَةٌ عَرَبِيَّةٌ عَرْبَاءُ لَيْسَتْ مِنَ المُعَرَّبِ، وَلَا مَأْخُوذَةً مِنْ لُغَةِ الرُّومِ كَمَا زَعَمُوا.

وَيُقَالُ: أَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَرَطْتُ الشَّيْءَ أَسْرُطُهُ سَرْطًا، إِذَا ابْتَلَعْتُهُ وَاسْتَرَطْتُهُ ابْتَلَعْتُهُ، فَإِنَّ المُبْتَلِعَ يَجْرِي بِسُرْعَةٍ فِي مَجْرًى مَحْدُودٍ.

وَمِنْ أَمْثَالِ العَرَبِ: لَا تَكُنْ حُلْوًا فَتُسْتَرَطْ، وَلَا مُرًّا فَتُعْفَى، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَعْفَيْتَ الشَّيْءَ، إِذَا أَزَلْتَهُ مِنْ فِيكَ لِمَرَارَتِهِ، وَيُقَالُ: فُلَانٌ يَسْتَرِطُ مَا يَأْخُذُ مِنَ الدَّيْنِ.

وَحَكَى يَعْقُوبُ بْنُ السِّكِّيتِ(١): الأَخْذُ سُرَيْطٌ، وَالقَضَاءُ ضُرَيْطٌ، وَالسِّرْطَاطُ: الفَالَوْذَجِ، لِأَنَّهُ يُسْتَرَطُ اسْتِرَاطًا، وَسَيْفٌ سِرَاطِيٌّ، أَيْ قَاطِعٌ فَإِنَّهُ مَاضٍ سَرِيعُ المَذْهَبِ فِي مَضْرِبِهِ.

فَالصِّرَاطُ: هُوَ الطَّرِيقُ المَحْدُودُ المُعْتَدِلُ الَّذِي يَصِلُ سَالِكُهُ إِلَى مَطْلَبِهِ بِسُرْعَةٍ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ لَفْظَ الصِّرَاطِ فِي كِتَابِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَلَمْ يُسَمِّ اللهُ سَبِيلَ الشَّيْطَانِ سِرَاطًا، بَلْ سَمَّاهَا سُبُلًا، وَخَصَّ طَرِيقَهُ بِاسْمِ الصِّرَاطِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وَفِي السُّنَنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، وَخَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ أَجَابَهُ قَذَفَهُ فِي النَّارِ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾ [الأنعام: ١٥٣](٢).

فَسَمَّى - سُبْحَانَهُ - طَرِيقَهُ صِرَاطًا، وَسَمَّى تِلْكَ سُبُلًا، وَلَمْ يُسَمِّهَا صِرَاطًا كَمَا سَمَّاهَا سَبِيلًا، وَطَرِيقُهُ يُسَمِّيهِ سَبِيلًا كَمَا يُسَمِّيهِ صِرَاطًا.

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت إمام في اللغة والأدب أصله من خوزستان تعلم ببغداد، وكان مؤدب أولاد المتوكل الذي جعله في عداد ندمائه ثم قتله.

(٢) حديث حسن. أخرجه الطيالسي [٢٤٤] وأحمد [٤١٤٢] والدارمي (١/ ٦٧) وابن أبي عاصم في «السنة» [١٧] والنسائي «كبرى» [١١١٧٤] والبزار [٢٢١٠] «زوائد»، والطبري في «تفسيره» [١٤١٦٨] والشاشي [٥٣٦]، [٥٣٧] وابن حبان (٦، ٧) والحاكم (٢/ ٣٢٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٣) من طريق حماد بن زيد عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن ابن مسعود، به. وإسناده حسن لأجل عاصم.

وَقَالَ تَعَالَى: عَنْ مُوسَى وَهَارُونَ: ﴿وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصَّافَّات: ١١٧-١١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفَتْح: ١-٣].

وَهَذِهِ الهِدَايَةُ الخَاصَّةُ الَّتِي أَعْطَاهُ إِيَّاهَا بَعْدَ فَتْحِ الحُدَيْبِيَةِ أَخَصُّ مِمَّا تَقَدَّمَ فَإِنَّ السَّالِكَ إِلَى اللهِ لَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ بَعْدَ شَيْءٍ، وَيَزِيدُهُ اللهُ هُدًى بَعْدَ هُدًى، وَأَقْوَمُ الطَّرِيقِ وَأَكْمَلُهَا الطَّرِيقُ الَّتِي بَعَثَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإِسْرَاء: ٩].

❁ ❁ ❁

obeikandl.com